

تفسير البحر المحيط

@ 267 @ أو المصير كتاب فحذف الياء والراء ترخيماً وعبر عن المصير بالمص قاله التبريزي . وقيل عنه : أنا الصادق . وقيل معناه { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } قاله الكرمانى قال : واكتفى ببعض الكلام وهذه الأقوال في الحروف المقطعة لولا أن المفسرين شحنوا بها كتبهم خلفاً عن سلف لضربنا عن ذكرها صفحاً فإن ذكرها يدل على ما لا ينبغي ذكره من تأويلات الباطنية وأصحاب الألغاز والرموز ونهيه تعالى أن يكون في صدره حرج منه أي من سببه لما تضمنه من أعباء الرسالة وتبليغها لمن لم يؤمن بكتاب ولا اعتقد صحة رسالة وتكليف الناس أحكامها وهذه أمور صعبة ومعانيها يشق عليه ذلك وأسند النهي إلى الحرج ومعناه نهى المخاطب عن التعرض للحرج ، وكان أبلغ من نهى المخاطب لما فيه من أن الحرج لو كان مما ينهى لنهيناه عنك فانتـ أنت عنه بعدم التعرض له ولأن فيه تنزيه نبيه صلى الله عليه وسلم) بأن ينهاء فيأتي التركيب فلا تخرج منه لأن ما أنزله الله تعالى إليه يناسب أن يسر به وينشر لما فيه من تخصيصه بذلك وتشريفه حيث أهله لإنزال كتابه عليه وجعله سفيراً بينه وبين خلقه فلهذه الفوائد عدل عن أن ينهاء ونهى الحرج وفسر الحرج هنا بالشك وهو تفسير قلق وسمي الشك حرجاً لأن الشاك ضيق الصدر كما أن المتيقن منشرج الصدر وإن صح هذا عن ابن عباس فيكون مما توجه فيه الخطاب إليه لفظاً وهو لأمرته معنى أي فلا يشكوا أنه من عند الله . وقال الحسن : الحرج هنا الضيق أي لا يضيق صدرك من تبليغ ما أرسلت به خوفاً من أن لا تقوم بحقه . وقال الفرّاء : معناه لا يضيق صدرك بأن يكذبوك كما قال تعالى : { فَلَا تَعْلَـمُـكَ بِـأَخِـعُ زُفُوسُكَ عِلَـاءُ أَثَـارِهِمْ إِنْ لَسَمُ يُؤْمِرُوكَ بِهَـاذِـا الْخَـدِـيْثِ أَسَـفَـاءُ } وقيل : الحرج هنا الخوف أي لا تخف منهم وإن كذبوك وتمالؤوا عليك قالوا : ويحتمل أن يكون الخطاب له ولأمرته ، والظاهر أن الضمير في { مِنْهُ } عائد على الكتاب ، وقيل على التبليغ الذي تضمنه المعنى . وقيل على التكذيب الذي دل عليه المعنى ، وقيل على الإنزال ، وقيل على الإنذار . قال ابن عطية : وهذا التخصيص كله لا وجه له إذ اللفظ يعم جميع الجهات التي هي من سبب الكتاب ولأجله وذلك يستغرق التبليغ والإنذار وتعرض المشركين وتكذيب المكذبين وغير ذلك { فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ } اعتراض في أثناء الكلام ، ولذلك قال بعض الناس إن فيه تقديماً وتأخيراً { وَلَـئِن نَّذَرْتَ } متعلق بأنزل انتهى . وكذا قال الحوفي والزمخشري أن اللام متعلقة بقوله { أُنْزِلَ } وقاله قبلهم الفرّاء ولزم من قولهم أن يكون قوله : فلا يكن في صدرك حرج { حَرَجٌ } اعتراضاً بين العامل والمعمول . وقال ابن الأنباري : التقدير فلا

يكن في صدرك حرج منه كي تنذر به فجعله متعلقاً بما تعلّق به في صدرك وكذا علقه به صاحب
النظم فعلى هذا لا تكون الجملة معترضة وجوّز الزمخشري وأبو البقاء الوجهين إلا أنّ
الزمخشري قال : (فإن قلت) : بم يتعلق قوله : { لَتُنذِرَ } (قلت) : بأنزل أي أنزل
إليك لإنذارك به أو بالنهي لأنه إذا لم يفهم أنذرهم ولذلك إذا أيقن أنه من عند الله شجّع
اليقين على الإنذار لأنّ صاحب اليقين جَسور متوكّل على عصمته انتهى . فقوله أو بالنهي
ظاهره أنه يتعلق بالنهي فيكون متعلقاً بقوله فلا يكن كان عندهم في تعليق المجرور
والعمل في الظرف فيه خلاف ومبناه على أنه هل تدلّ كان الناقصة على الحدث أم لا فمن قال
إنها تدلّ على الحدث جوّز فيها ذلك ، ومن قال إنها لا تدلّ عليه لم يجوّز ذلك ، وأعرب
الفرّاء وغيره { المص } مبتدأ و { كِتَابٌ } خبره وأعرب أيضاً { كِتَابٌ } خبر